11me Année No. 528

Lundi - 16 - 8 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ مـ في مصر والسودان

١٢٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٢٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ شعبان سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٦٤١ نهاية أستاذ ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

٦٤٣ الصيد في الأدب العربي ... : الدكتور عبد الوهاب عزام

٦٤٤ عروس النيل .... : الدكتور زكي مبارك .. ...

٦٤٨ أيها الأدباء أعصابكم ... : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٦٥١ دراسات عن مقدمة ابن خلدون .. .. : الأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري ... .

٦٥٥ اللغة العربية .. .. : الأستاذ محمد عرفة ... ...

٦٥٧ في استقلال القضاء [قصيدة] : الأستاذ محمود الخفيف ...

٦٥٩ (١) الشاعر ابن العرايش من هو؟ .. ...
(٢) آباء العلاء ... . .
(٣) رباعيات الخيام . .. : الأستاذ محمد عبد الغني حسن

٦٥٩ قضية تخسر ... . : الأديب زكريا إبراهيم . ...

نهـــاية أستاذ . . .

مئاتٌ من المدرسين وآلافٌ من الطلاب يرثون الأستاذ أحمد عثمان الهدى مدرس الفرير الثابر خمسا وثلاثين سنة. ولكن معرفتي إياه رفيقاً في الدراسة، وزميلاً في التدريس، تجعلني أقدرَ من عرفوه جميعاً على حكاية مأساته، وكشف ما خفي من أسرار حياته ومماته.

عرفته سنتين طالباً في الأزهر يُعنى بتجويد الخط، ويحاكي «أبناء البلد» في الرواء والسَّمت. ومن كان ربيبَ أسرة الهدى[1] المترفة كان خليقاً أن ينشأ على حب الجمال في الزي والمنظر

وزاملته سبع سنين مدرساً في كلية الفرير بالخرنفش يُعَلِّم العلوم العربية في فصولها المختلفة، وينسخ «للأخ بلاج» المفتش أصول (مؤلفاته[2]) في النحو والبلاغة والأدب. وما كان أحذق المتنبئين ليستطيع حينئذ أن يتنبأ لهذه النفس الراضية والطبع المرح والثغر الضحوك واللسان الداعب، بهذه الكهولة الأليمة والعاقبة المحزنة. نعم كان المتفطن المستبصر يخشى أن تكون له في بعض الأزمان زوجة وأولاد؛ فقد كان يعيش عيش السمك في الماء، لا يكاد يعرف له مستقراً ولا غداً ولا غاية.

(١) كان أبوه من مماليك الشيخ المهدي ومن هنا كانت نسبته

(٢) من الانصاف للحقيقة والتاريخ أن أنوه بهذه المناسبة أن الذي ألف كتابي (سفينة النجاة) و(سفينة البلغاء) هو الشيخ سيد الشايب؛ وأن الذي حرر كتاب (بحر الآداب) في أجزائه الخمسة ووضع نثره ونظمه في هذا الأسلوب الأخير هو الشيخ أحمد حسن الزيات

كان يقضي فراغه كله في المقاهي بين زمرة من الشباب المملق المتملق ؛ وكان الصرق التركي الذي فيه لا يزال يضرب عليه بالشموخ والأبهة ، فلا يسمح لأحد من الجلاس أن يدخل يده في جيبه . وكان فضلاً عن ذلك مخروق الكف والكيس فلا يمسكان على ما يكسب ، ولا يبقيان على ما يملك . كان لا يسأله أحد إلا أعطاه ، ولا يُعرض عليه شيء إلا اشتراه . وكان أكثر ما يشتريه لا يحتاج إليه ، كأداة المطبخ وليس له بيت ، أو حاجة المرأة وليست له زوجة . إنما كان مولعاً بمساومة الباعة الجوالين ، ويسره أن يعلموا أنه خبير بالصنف فلا يُغش ، عليم بالثمن فلا يغبن . وقد فطن الخبثاء إلى هواه فكانوا يتغالبون له ويتشاكون منه ، وهو يشتري ويشتري ثم يودع ما اشتراه صاحب القهوة ولا يطلبه !

وكان لحبه الخير والشهامة يتمدح بما فعل وما لم يفعل منهما . ولخياله الخصب في هذا الباب حوادث وأحاديث يكون هو فيها البطل المرموق . وكان يكفي أن تحسن الاستماع وتظهر الاقتناع لتسلبه الإرادة وتقوده إلى حيث تريد . وضعف إرادته إنما كان يظهر في نواحي المروءة والرحمة ، أو في أمور المال والمعيشة . فكان لا بد له من قيم يدبر ماله وينظم أمره . ولكنه مع ذلك كان يعيش أرغد العيش ، وينعم أطيب النعمة ، لأنه كان يُخلف ما يتلف . كان يكسب من الدروس الخصوصية لليهود أضعاف ما يأخذ على عمله اليومي في المدرسة . وكان من الجائز أن يقضي العمر في ظلال هذا العيش الغرير لولا أن وقع المحذور وتنبهت عيون الحوادث . تزوج المسكين !! وكانت زوجه لسوء حظه صورة مؤنثة منه . بل زادت عليه أنها من قوم فقراء يحبون الرفد والمعونة . وكانت كما شاء القضاء ولوداً ، فلم يأت على زواجهما بضع سنين حتى كانا في بضعة أولاد . وتظاهر ضعف الزوجين وإسرافهما الشديد ونزاعهما المتصل على حياة هذه الأسرة البائسة فلم تنعم بهدوء ولم تظفر بتربية . وأصبح كدح الرجل قليلاً على تسعة أفواه لا تحسن غير الخضم والهضم ؛ فكان يكد ويحتال ويتصرف ويقترض ، ولكن الأمر كان فوق طاقته . ومن المحال أن يتعادل دخل البذر وخرجه . والماء مهما زخر وارتفع لا يبقى إذا ما انتهى إلى بالوعة !

وتسابقت الأحداث إلى المسكين ففدحه الدين ، وركبه الهم ، وغاضت بشاشة وجهه ، وذهبت أناقة هندامه . وقسا عليه الدهر ذات مساء فانتحر ابنه البكر تحت الترام وهو معه ينظر إلى أشلائه المبددة ، ويستمع إلى أنّاته المرددة !

ثم جاءت هذه الحرب بما نعرف من بلائها وغلائها ، وكانت عوارض الوهن والانحلال قد ظهرت على المعلم الكدود فاضطرب تفكيره وفتر نشاطه . وصعب على (الفرير) خدام الدين والعلم أن يمشوه عظماً كما نهشوه لحماً ، فأخرجوه بعد أربع وثلاثين سنة قضاها معهم في جهاد العجمة واللكنة لا يدخر جهداً ولا يبالي مشقة . أخرجوه وكل ما في يده مائة وخمسون جنيهاً كافأوه بها على ما أفنى من صحته وشبابه . وكانت هذه المكافأة طعام أشهر معدودة كان في أصباحها وأمسائها يطرق الباب بعد الباب عسى أن يجد السبيل إلى رزقه الهارب ، أو الوسيلة إلى عيشه المفقود . وتصامّ أكثر الأصدقاء فلم يستجيبوا لطرق الأنامل النحيلة على الأبواب الصقيلة . . . فباع الرجل فضول المتاع ثم باع حاجاته . وكادت الأسرة الشريدة تجوع وتعرى لولا أن قيض الله له صديقاً من ذوي الجاه والفضل فرشحه للتدريس في المدرسة الملكية بالمنصورة . ولهذه المدرسة شهرة بحب الجمع وكراهة القسمة ، فرتبت له ثمانية جنيهات في الشهر . وحاول البائس المضطر أن يسد بهذا المرتب أجرة مسكنه ونفقة عياله ، فاستحال ذلك عليه إلا أن يسكنوا نصف السكن ، ويأكلوا بعض الأكل ، ويخلصوا من عقابيل السرف القديم . فكان يقترض من المدرسة سبعة جنيهات في كل شهر على حساب الأشهر المقبلة ، حتى جاء شهر مارس الماضي وليس له من مرتب العام كله غير خمسة جنيهات ! نعم خمسة جنيهات هي كل ما بقي لسبعة الأشهر الباقية ! إذن ماذا يصنع ؟ لم يبق في المنزل ما يباع ، ولا في الناس من يعين ، ولا في الغد ما يُرجى !

وها هو ذا بعد أن نيّف على الخمسين في خدمة اللغة والأدب يجد نفسه على شفا الهاوية ممنوع الرزق مقطوع الرجاء لا منصب يُظل ولا ثروة تُعقل ولا ولد يعول ولا عشيرة تؤوي ولا أمة تساعد !

(البقية على صفحة ٦٦٠)

احمد حسن الزيات